أثر السياق في الكشف عن دلالة التذكير والتأنيث

The Effect of Context in Revealing the Indication of Masculinity and Femininity

Afshin Shafiq
Lecturer (visiting faculty member) Faculty of Management Science IIUI
Ph.D Research Scholar Department of Islamic Studies (Usuluddin) IIUI
E.mail: Afshin.shafiq.vt4274@iiu.edu.pk
ORCID: 0009-0002-7493-7093

Kalsoom Asghar
Lecturer Department of Islamic Studies
Riphah International University Islamabad
Ph.D Research Scholar Department of Islamic Studies (Usuluddin) IIUI
E.mail: kalsoom.asghar@riphah.edu.pk
ORCID: 0009-0003-8500-0519

Abstract
There is no doubt that the vocabulary of the Arabic language has a wide range of meanings, so the meaning of the Arabic term is not defined unless it is viewed in the light of its context. The indication of the Qur'anic context is very important in interpreting the words of God, and it is indispensable to him because it affects understanding the words of God Almighty, and clarifying the correct meaning in the words and verses of Allah. One of the images of beauty in the Qur'anic sentence is masculine and feminine, as there are words in the Qur'an that come once as masculine and come once as feminine. He who reads the Qur'an and does not ponder such words will pass by like this, but whoever reads ponderingly and weighs the Qura'nic words stands and lives with words of one origin, and God intends for each word a different meaning from the other. Masculine and feminine have a profound impact on changing the concept of changing the location of the word. The Qur'anic word differs from all other words because it carries specific ideas and meanings that affect the text in a specific aesthetic way in its specific context. The context plays a major role in defining the connotation of those words, which was mentioned once by the masculine and once by the feminine, and that is in the field of verses that are similar in pronunciation, and from here I chose this topic to study it as a theoretical and applied study.

Keywords: Context, Effects, Masculine, Feminine, Impact

التعارف:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

مما لا شك فيه إن مفردات اللغة العربية مجموعة كبيرة من المعاني، لذلك لا يتم تعريف معنى المصطلح العربي إلا إذا نظر إليها في ضوء سياقها، إن دلالة السياق القرآني مهمة جدا في تفسير كلام الله ولا غنى عنه له لأنه يؤثر على الفهم كلام الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح في كلمات وآيات الله تعالى، من صور الجمال في الجملة القرآنية التذكير والتأنيث حيث إن هناك كلمات في القرآن تأتي مرة مذكرة وتأتي مرة مؤنثة...والذي يقرأ القرآن ولا يتدبر تمر عليه مثل هذه الكلمات هكذا ولكن من يقرأ متدبرا ويزن الكلمات القرآنية يقف ويحيا مع كلمات أصلها واحد والله يريد بكل صيغة معنى يختلف عن الآخر.فالتذكير والتأنيث لها أثر عميق في تغير المفهوم لتغير موقع الكلمة، فالكلمة القرآنية تختلف عن سائر الكلمات لأنها تحمل أفكارا ومعاني مخصوصة تؤثِّر على النص جمالية مخصوصة في سياقها المخصوص، فكأن هذا المكان وهذا الموقع خلقت له تلك اللفظة بعينها وفي ذات الموضع بعينه.

والسياق يؤدي دورا كبيرا في تعيين الدلالة لتلك اللَّفْظة التي ذكرت بالتذكير مرة والتأنيث مرة، وذلك في مجال الآيات المتشابهة لفظا ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع لدراسته دراسة نظرية تطبيقية.

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول : تعريف التذكير والتأنيث لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : أنواع التذكير والتأنيث وعلاماته.

المبحث الثالث :الدراسة التطبيقية لبيان أثر السياق في الكشف عن دلالة التذكير والتأنيث.

الخاتمة: تشمل على أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سأعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي حيث أقوم بتتبع المواضع التي كان للسياق فيها دور في كشف دلالة التذكير والتأنيث، في الآيات المتشابهة ثم أقوم بدراستها وتحليلها.

المبحث الأول : تعريف التذكير والتأنيث لغة واصطلاحا :

تعريف التذكير لغة :

التذكير خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى ([1])قال تعالى (**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**)([2])وقال الله تعالى(**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**) ([3])أي من رجل وامرأة . يقال: امرأة مذكرة، إذا أشبهت في شمائلها الرجل لا في خلقتها،([4])

وأذكرت المرأة وغيرها فهي مذكر ولدت ذكرا وفي الدعاء للحبلى أذكرت وأيسرت أي ولدت ذكرا ويسر عليها وامرأة مذكر ولدت ذكرا فإذا كان ذلك لها عادة فهي مذكار. وأيضا يقال التَّذْكِيرُ: بمعني (**الوَعْظُ**)،([5])قال الله تعالى: **{فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ}**([6])

تعريف التأنيث لغة :

وأما الأنثى :خلاف الذكر من كل شيء والجمع إناث وأنث جمع إناث كحمار وحمر وفي التنزيل العزيز**{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا}**([7])وزعم ابن الأَعرابي أني المرأة إنما سميت أنثى من البلد الأنيث قال لأن المرأة ألين من الرجل، وسميت أنثى للينها. ([8])وفِي اللّسان العرب : الأنيث من السيوف: الذي من حديد غير ذكر، وقيل: هو نحو من الكهام.

خلاصة الكلام :

نحن نفهم من كل هذه التعريفات والاستعمالات أن لفظة التذكير تدل علي الشدة والصلابة والمتانة والقوة والشجاعة والانفة ، لأن من سمات التذكير التعظيم، كما حال عند القبائل العربية القديمة. وأما التأنيث فمأخوذ من اللين والسهولة والإنتاج والإنبات .

تعريف التذكير والتأنيث اصطلاحا:

قسم الاسم في اللغة العربية من حيث الجنس إلى مذكر ومؤنث سواء أكان مفردا أم مثنى، وقد اهتم النحاة بمفهوم المذكر والمؤنث وكانت تعريفاتهم أكثر تفصيلا وتوضيحا وبيانا منها.

يري أبو البركات الأنباري ([9]):أن المذكر ما خلا من علامة التأنيث، لفظا وتقديرا، والمؤنث ما كانت فيه علامة التأنِيث، لفظا أو تقديرا،([10])

قال ابن الحاجب:([11])أن المؤنث ما فيه علامة تأنيث لفظا أو تقديرا. والمذكر بخلافه، وعلامة التأنيث: التاء، والألف مقصورة وممدودة،([12])

فيري الدماميني: ([13])أن المؤنث أيته علامة التأنيث لفظا أو تقديرا سواء أكان التأنيث حقيقيا أم غير ذلك فالعلامة اللفظية كما في عالمة وصحراء وذكري ، ومقدرة كما في هند وقدر بدليل رجوعهما في التصغير هنيدة وقديرة . ([14])

خلاصة الكلام :

المذكر في اللغة حسب فهم علمائنا العرب هو ما استغني فيه الاسم المذكر عن علامة تدل على التذكير أما التأنيث فهو ما افتقر إلى علامة تدل عليه وهي التاء أو الألف المقصورة أو الألف الممدودة .

المبحث الثاني : أنواع التأنيث وعلاماته:

أنواع التأنيث:ينقسم المؤنث باعتبار الحقيقة إلى قسمين:

الأول : المؤنث الحقيقي: وهو الذي يلد، ويتناسل، ولو كان تناسله من طريق البيض والتفريخ؛ ولا بد من لفظ المؤنث الحقيقي من علامة تأنيث ظاهرة، أو مقدرة، مثل: ولادة، سعدى، هند، عصفورة، عقاب.

الثاني : المؤنث المجازي: وهو الذي لا يلد ولا يتناسل؛ سواء أكان لفظه مختوما بعلامة تأنيث ظاهرة؛ كورقة، وسفينة ... ، أم مقدرة؛ مثل: دار، وشمس. ولا سبيل لمعرفة المؤنث المجازي إلا من طريق السماع الوارد عن العرب، ولا يمكن الحكم على كلمة مؤنثة بأنها تدل على التأنيث مجازا إلا من طريق اللغوي الذي يوضح أمر ذلك السماع ويبينه.(15)

وينقسم باعتبار علاماته إلى ثلاثة أقسام :

الأول : المؤنث اللفظي فقط: وهو الذي تشتمل صيغته على علامة تأنيث ظاهرة، مع أن مدلوله "أي: معناه" مذكر؛ نحو: حمزة، أسامة، زكريا. أعلام رجال. وله أحكام مختلفة مدونة في الأبواب المناسبة لها؛ فقد يراعى معناه في حالات فلا يؤنث له الفعل، ولا يعود عليه الضمير مؤنثا ... ، فلا يقال: اشتهرت حمزة بالشجاعة والإقدام، ولا حمزة اشتهرت بالإقدام ... ولا يجمع "في الأرجح" جمع مذكر سالما ... وقد يراعى لفظه –وهو الأغلب في كثير من حالاته الأخرى– فيمنع من الصرف، ويذكر له اسم العدد؛ فيقال ثلاث حزمات...

الثاني : المؤنث المعنوي فقط: وهو ما كان مدلوله مؤنثا حقيقيا أو مجازيا ولفظه خاليا من علامة تأنيث ظاهرة؛ فيشمل المؤنث الحقيقي الخالي من علامة تأنيث،مثل: زينب، سعاد، عقاب ... كما يشمل المؤنث المجازي الخالي منها؛ مثل: عين، رجل، بئر ...

الثالث : المؤنث اللفظي المعنوي: وهو ما كانت صيغته مشتملة على علامة تأنيث ظاهرة، ومدلوله مؤنثا؛ مثل: فاطمة، علية، ريا، سعدى، حسناء، هيفاء، نخلة، أسدة، شجرة، دنيا ... ويخضع لكل أحكام المؤنث اللفظي والمعنوي.(16)

وينقسم باعتبار تأويله إلى قسمين :

الأول :المؤنث التأويلي: وهو ما كانت صيغته مذكرة في أصلها اللغوي، ولكن يراد –لسبب بلاغي– تأويلها بكلمة مؤنثة معناها؛ فقد كان العرب يقولون: "أتتني كتاب أسر بها ... ، يريدون: رسالة" "خذ الكتاب واقرأ ما فيها. يريدون: الأوراق". وكذلك: "الحرف في مثل قولهم: هذه الحرف: نعت؛ يريدون به: الكلمة" ... وأمثال هذا كثير في كلامهم ...

الثاني :المؤنث الحكمي: وهو ما كانت صيغته مذكرة ولكنها أضيفه إلى مؤنث فاكتسبت التأنيث؛ بسبب الإضافة؛ كقوله تعالى: {**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**}(17) .فكلمة "كل" مذكرة في أصلها، ولكنها في الآية اكتسبت التأنيث من المضاف إليه المؤنث؛ وهو "نفس".(18)

علامات التأنيث :

المشهور عند العلماء أن للتأنيث ثلاث علامات([19])، وجعلها ابن القاسم الأنباري خمس عشرة علامةً: ثماني منها في الأسماء، وأربعا في الأفعال، وثلاثاً في الأدوات.

فأما التي في الأسماء، فهي :

1: الألف المقصورة المالة إلى الياء؛ كقولك: ليلى وسلمى وسعدى.

2 : الألف الممدودة؛ كقولك: حمراء وصفراء، والسراء والضراء

3 : التاء؛ كقولك: أخت وبنت.

4 : والهاء؛ كقولك: طلحة وحمزة، وقائمة، وقاعدة، وهي تكون هاء في الوقف.

5: الألف والتاء في الجمع؛ كقولك المسلمات والصالحات والهندات والجمالات.

6 : النون، كقولك: هن وأنتن.

7: الكسرة؛ كقولك: أنت.

8 : الياء؛ كقولك: هذي قامت، ([20])

وأما التي في الأفعال، فهي :

1 : التاء؛ كقولك: قامت وقعدت، وتقوم وتقعد.

2 : الياء؛ كقولك: تضربين زيدا، واضربي زيدا.

3 : الكسرةُ في الحرف المختلطِ بالفعل الذي قد صار كأنه من الفعل؛ كقولك: قمت، وقعدت، وأعطيت، وأحسنت، وأجملتِ، وذلك أن النحويين يُسَمُّون قُمت، وبعث ثلاثياً؛ لأن التاء اختلطت به، فصار معها ثلاثة أحرفٍ ويسمون قضيت، وسعيت، وغزوت، ودعوت، وعفوت رُباعياً؛ لأن التاء اختلطت به، فصارت كأنهاحرف من الفِعل، وصار بها أربعة أحرف.

4 : النون التي اختلطت بالفعل، فصارت كبعض حروفه، كقولك: قمن، وقعدن.([21])

وأما التي في الأدوات، فهي :

1 : التاء؛ كقولك: ربت رجل ضربت، وقمت ثمت قعدت.

2 : الهاء؛ كقولك- في الوقت على هيهات-: هيهاه، كان عيسى ابن عمرو وأبو عمرو بن العلاء يقفان هيهاه بالهاء.

ومثله: (ولات حين مناص). كان الكسائي يقف عليها ولاه.

3 : الهاءوالألف؛ كقولك: إنها قامت هند، وإنها جلست جمل. قال الله تعالى ذكره: (فإنها لا تعمى الأبصار).

قال الفراء: والعرب تدخل الهاء مع إن دلالة على الفعل الذي بعدها، فإذا قالوا: إنه قام عبد الله دلوا بالهاء على أن الفعل الذي بعدها مذكر، وإذا قالوا: إنها قامت هند دلوا بها على أن الفعل الذي يأتي بعدها مؤنث. (22)

المبحث الثالث : الدراسة التطبيقية

مواضع التذكير والتأنيث

الموضع الأول :

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِفَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(23)

وقال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي**﴾(24)

للسائل أن يسأل فيقول: إذا كان المذكور في الموضعين (**كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**) وصلح أن يعود الضمير إلى مذكر وإلى مؤنث، فيراد مثل هيئة الطير، وهو مذكر، أو يراد هيئة كهيئة الطير، وهي مؤنثة، فما بال ما في آل عمران خص بالتذكير، وما في سورة المائدة خص بالتأنيث؟

أثر السياق في توجيه التذكير والتأنيث:

ذكر الإمام الإسكافي توجيهاً في أثر السياق حيث قال : إن الأول الذي ذكر الضمير فيه؟ إنما هو فيما أخبر الله عز وجل به عن عيسى على نبينا وعليه السلام وقوله عليه السلام لبنيإسرائيل﴿**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾(25)وعد الآيات كلها عليهم، منها: أني آخذ من الطين ما أصور منه صورة على هيئة الطير في تركيبه، فأنفخ فيه، فينقلب حيوانا لحما، قد ركب عظما وخالط دما واكتسى ريشا وجناحا كالطائر الحي، والقصد في هذا المكان إلى ذكر ما تقوم به حجته عليهم، وذلك أول ما يصور الطين على هيئة الطير، ويكون واحدا تلزم به الحجة، فالتذكير أولى به. (26) .

والآية في سورة المائدة المخصوصة بتأنيث الضمير العائد إليما يخلقه، هي في ذكر ما عدد الله من النعم على عيسى عليه السلام وما أصحبه إياه من المعجزات وأظهر على يده من الآيات، وابتداؤها: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي..**﴾(27) والإشارة في

هذه الآية ليست إلى أول ما يبديه لبني إسرائيل من ذلك محتجا به عليهم، وإنما هي إلى جميع ما أذن الله تعالى في كونه دلالة على صدقة من قبيل الصور التي يصورها من الطين على هيئة الطير، وذلك جمع التأنيث أولى به.([28])

وقد ذكرالإمام الكرماني([29]) وجها أخر في أثر السياق وقال:﴿ **فأنفخ فِيهِ**﴾قيل الضمير في هذه السورة يعود إلى الطير وقيلإلى الطين وقيل إلى المهيأ وقيل إلى الكاف فإنه في معنى مثل وفي المائدة يعود إلى الهيئة وهذا جواب التذكير والتأنيث لا جواب التخصيص وإنما الكلام وقع في التخصيص وهل يجوز أن يكون كل واحد منهما مكان الآخر أم لا فالجواب أن يقال في هذه السورة إخبار قبل الفعل فوحده وفي المائدة خطاب من الله تعالى له يوم القيامة وقد تقدم من عيسى عليه السلام الفعل مرات والطير صالح للواحد وصالح للجميع.([30])

قال الإمام الرازي([31]):أن قوله كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ أي هيئة مثل هيئة الطير فقوله فَتَنفُخُ فِيهَا الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء.إذا عرفت هذا فنقول الكاف تؤنث بحسب المعنى لدلالتها على الهيئة التي هي مثل هيئة الطير وتذكر بحسب الظاهر وإذا كان كذلك جاز أن يقع الضمير عنها تارة على وجه التذكير وأخرى على وجه التأنيث.([32])

خلاصة الكلام :

1. قد ظهر من السياق أن في الآية الأولى ذكر الله سبحانه وتعالي معجزات عيسي عليه السلام منها تخليق الطير الذي يخلقه مثل الطير الحقيقي والطير مذكر فالتذكير أولى به.وأما في الآية الثانية السياق يدل علي ذكر ما عدد الله من النعم على عيسي عليه السلام من المعجزات ومن الآيات التي تظهر على يده فالتأنيث أولى هنا
2. في الآية الأولى يعود الضمير إِلَى الطير وَقيل إِلَى الطين وَقيل إِلَى المهيأ وَقيل إِلَى الْكَاف وهذه كلها الذكور فالتذكير أولى، وأما في الآية الثانية ذكر هيئة الطائر والهيئة مؤنثة فالتأنيث أولى.
3. الكاف بحسب المعنى مؤنث لدلالتها على الْهَيْئَةِ ومذكر بحسب ظاهر اللفظ فلهذا يجوز التذكير والتأنيث.

الموضع الثاني :

قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام :﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾([33])

وقال في هذه السورة في قصة شعيب عليه السلام :﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾([34])

للسائل أن يسأل عن اختلاف الفعلين في اتصال علامة التأنيث بأحدهما ،وسقوطها من الآخرمع أن الفاعل في الموضعين شيء واحد وهو ﴿ الصَّيْحَةُ ﴾مع أن الحاجز بين الفعل والفاعل في المكانين حاجز واحد ، وهو ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ؟

أثر السياق في توجيه التذكير والتأنيث:

بين الإمام الإسكافي أثر السياق وقال : إن مثل هذا إذا جاء في كلام العرب سهل الكلام فيه ، لأنه يقال : حمل على المعنى ، والصيحة بمعنى الصياح ،كما أن قول الشاعر : يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت حمل على المعنى إذ الصوت بمعنىالصيحة.غير أن السؤال الذي بنيت الآيات لازم ، وهو أن يقال : فهل كان يجوز مكان أخذت أخذ في القرآن ؟ وهل لتخصيص قصة شعيب ب أخذت فائدة ليست لها قصة صالح عليه السلام.والجواب عن هذا الموضع هو أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ : ([35]) .

- منها (**الرَّجْفَةُ**):﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ *الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا** ..﴾ ([36])وذكر ذلك قبله في مكان آخر.
- ومنها ﴿**الصَّيْحَةُ** ﴾ في سورة هود في قوله تعالى :﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُفَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾([37])
- ومنها ﴿ **الظُّلَّةِ** ﴾ في قوله تعالى :﴿**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ** ﴾([38]).

وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لإهلاكهم واحدة بعد أخرى ، لأن الرجفة بدأت بهم فانزعجوا لها عن الكن إلى البراح ، فلما أصروا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها ، وهي سحابة سكنوا إلى روح ظل تحتها فجاءت الصيحة فهمدوا لها.

فلما اجتمعت ثلاث أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات ، فلذلك جاء في قصة شعب عليه السلام : ﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ**﴾.([39])([40])

وقد ذكر الإمام الغرناطي([41])وجها أخر في توجيه التذكير والتأنيث وقال:أن التأنيث على ضربين حقيقي وغير حقيقي، فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل نحو قام اليوم هند، وكلما كثر الفصل حسن الحذف، ومن كلامهم حضر القاضي اليوم امرأة، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعاً. وأما التأنيث غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حسن، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى**﴾([42])،وهو كثير، فإن كثر الفصل ازداد حسناً، (ومنه) ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ**﴾([43])فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن، فجاء الفعل في الآية الأولى على الأولى، ثم ورد في قصة شعيبعليه

السلاموهي الثانية بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني، جمعاً بين الوجهين إذ الآيتان في سورة واحدة وتقدمها الأولى على ما ينبغي، والله أعلم. وهذا ما لم يكن الفاعل ضمير مؤنث فله أحكام تخصه.(44)

خلاصة الكلام :

أثر السياق في تأنيث أخذت في قصة شعيب عليه السلام لأن الله تعالي أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ مؤنثة ﴿الرجفة﴾،﴿الصيحة﴾،﴿الظلة﴾فلما اجتمعت هذه ثلاثة أشياء مؤنثة غلب التأنيث فالتأنيث أولى به .بخلاف في قصة صالح عليه السلام لأن هناك لم تتابع هذه المؤنثات فالتذكير أولى به.

الموضع الثالث:

قوله تعالى في سورة الأنبياء:﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(45) و قوله تعالى في سورة التحريم:﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾(46)

فيسأل عن وجه الاختلاف في الضميرين مع اتحاد المعنى المقصود من الواقع به الثناء وإن اختلف الحامل على ذكر قصتها في الموضعين؟ وعن وجه اختصاص كل واحد من الموضعين بالوارد (فيه) ؟

أثر السياق في توجيه التذكير والتأنيث:

قد ذكر الإمام الغرناطي توجيهاً في السياق التذكير والتأنيث وقال : والله أعلم: بعد تسلمي اتحاد المعنى الواقع به البناء، إن الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو التي، وهي مريم ابنة عمران المفتح باسمها في آية التحريم، أعيد الضمير هنا إليها من حيث إن ذلك تخصيص وتكريم جليل وآية باهرة، وقد قصد ههنا تشريفها وتشريف ابنها، عليه السلام، بالذكر في قوله: ﴿**وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً**﴾(47)، ولم يقع في آية التحريم ذكر ابنها، فلما اتسع المقصود هنا بذكر من لم يذكر هناك، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة (بجملتها، فقيل) : ﴿**فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا**﴾(48)، وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص بمحل النفخ من غير إشكال، وقيل في آية التحريم: ﴿فيه﴾ لعوده إلى الموضع المخصوص على ما يجب، لم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها، وتصديقها، وإثباتهافي القانتين، وتشبيه حالها في سابق سعادتها بالمذكورة قبلها، واجتماعهما في ضرب المثل بهما للمؤمنين، فالحامل على ذكرها هنا غير الحامل في سورة الأنبياء مع اتحاد الوصف الواقع به التمدح، مع تناظر الألفاظ ﴿**وتشاكلها**﴾، وهي قوله تعالى:﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا**﴾(49)، فاجتمع في هذا الموضع ما قصد من مدحها ومدح ابنها، عليه السلام، مع مضارعة الألفاظ وتشاكلها، فجاء كل على ما ثبت فيه، ولم يقصد في التحريم غير ذكرها بالحال التي ناسبتها فيها امرأة

فرعون، ولم يوسع الكلام بذكر ابنها، عليه السلام، كما ذكر في الأخرى، ولا هنا داعية تشاكل كما هناك، فلهذا ورد الضمير على ما ورد من الخصوص فقيل: ﴿**فيه**﴾.(50) .

والجواب، عن وجه اختصاص كل واحد من الموضعين بالوارد فيه: أن آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات تضمنت ذكر جملة من الرسل، موصوفين بخصائص عليه وآيات نبوية، أولهم إبراهيم، عليه السلام، ثم ابنه إسحق ثم ابنه يعقوب ثم نوح ولوط وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذو الكفل وذو النون وزكريا، فلما ذكر هؤلاء العلية، عليهم السلام، بخصائص ومنح ناسب ذلك ذكر مريم وابنها بما منحا عليهما السلام. وأما آية التحريم فمقصود فيها ذكر عظيمتين جليلتين يبين بهما حكم سبقيه القدر بالإيمان والكفر، وهما قضية امرأتي نوح ولوط، وإن انضواءهما إلى هذين النبيين الكريمين، عليهما السلام، انضواء الزوجية التي لا أقرب منها، ومع ذلك لم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقصة امرأة فرعون وقد انضوت إلى أكفر كافر، فلم يضرها كفره، ثم ذكرت مريم، عليها السلام، للالتقاء في الاختصاص وسبقيه السعادة، ولم يدع داع إلى ذكر ابنها فلا وجه لذكره هنا، وأما آيةالأنبياء فلذكره هناك أوضح حامل، فجاء كل على ما يجب، ولا يمكن فيه عكس الوارد، والله أعلم.(51)

وقد ذكر الإمام الأصبهاني(52) وجها آخر في أثر السياق حيث قال :لما كان القصد في سورة الأنبياء إلى الإخبار عن حال مريم وابنها، وأنهما جُعلا آية للناس، وكان النفخ فيها ممّا جعلها حاملا، والحامل صفة للجملة، فكأنه قال: ﴿**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾(53)فصيّرها النفخُ حاملا حتى ولدت، والعادة جارية أن لا تحمل المرأة إلا من فحل، ولايولد الولد من غير أب، فلما كان القصد التعجب من حاليهما، وأنها بالنفخ صارت حاملا ردّ الضمير إلى جملتها، إذ كان النفخ في فرجها نفخاً فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفةٍ ترجع إلى جملتها دون بعضها، كان قوله:﴿**فَنَفَخْنَا فِيهَا** ﴾(54) أولى من قوله:﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ**﴾(55). (56)

وأما قوله في سورة التحريم:﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا**﴾(57)فلما لم يكن القصد فيه إلى التعجّب من حالها بالحمل عن النفخ، وولادتها لا عن اقتراب فحل لم يكن ثَمّ من القصد إلى وصف جملتها بغيرالصفة التي كانت عليها قبلها ما كان في الآية الأولى، فجاء اللفظ على أصله، والمعنى: نفخنا في فرجها، ولم يُسَقِ الكلامُ إلى ما سيق إليه في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ، فاختلفا لذلك.(58)

خلاصة الكلام :

1.يدل السياق في الآية الأولى على تشريف مريم وابنها عليهما السلام واختصاصهما مع بقية الرسل فأعيد الضمير إلى مريم عليها السلام.وأما في آية التحريم يدل السياق علي عظيم ايمانها وتصديقها وسعادتها بالمذكورة التي قبلها فلهذا السبب ورد الضمير المذكر.

2. في سورة الأنبياء يقصد بها التعجب من حال مريم وابنه عليهما السلام بالنفخ فرد الضمير إلى جملتها، لأن النفخ في فرجها ترجع إلى جملتها دون بعضها .فالتأنيث أولى به. وأما في سورة التحريم لم يكن القصد بها التعجب من حال مريم عليها السلام بالحمل عن النفح ،فجاء اللفظ على أصله ،﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾أي فنفخنا في فرجها.

الموضع الرابع:

قوله تعالى في سورة السجدة :﴿**وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾[59]

وقال في سورة سبأ :﴿**وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ** ﴾[60]

للسائل أن يسأل فيقول : ما الذي أوجب في سورة "السجدة أن يعود الوصف بـ "الذي " إلى العذاب الذي هو مذكر، ويعود مثله في سورة سبأ إلى النار التي هي مؤنثة؟

أثر السياق في توجيه التذكير والتأنيث:

والجواب أن يقال : إن النار في قوله في سورة السجدة، ظاهرة موضع المضمر لتقدم ذكره في قوله : ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا**﴾فأضمرت في قوله : ﴿**أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾ وأظهرت في قوله : ﴿**وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ أي عذابها، فوقعت مظهرة مكان المضمر. والتي في سورة سبأ لم تجئ هذا المجيء، لأنها في مكانها مظهرة.[61] .

فلما كان المضمر لا يوصف بعُد عن الوصف ما حلّ محلّه، لأنه سدّ مسدّه، فوصف ما أضيف إليه وهو العذاب، فجاء :﴿**عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾ ولمّا لم يتقدم ما في سورة سبأ ما منزلته منزلةالمضمر صرّح الوصف له فأجري عليه وجاء : ﴿**عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾[62]ألا ترى أن أوّله : ﴿**وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ**﴾[63].[64]

وقد ذكر الإمام الغرناطي : وجها أخر في أثر السياق وقال.أن آية السجدة اقترن بها ما يستدعي أن يناسب وهو قوله تعالى : ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ**﴾[65] ، فلما تفصل ذكر العذاب إعلاماً بإلحاق ضريبة الأدنى والأكبر بمن جرى الوعيد لهم ، والعذاب مذكر ، وقد تكرر ، فتأكد رعيه ، فناسبه عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكراً ليجري ذلك كله مجرى واحداً. ولما لم يكن يتلو آية سورة سبأ ولا قبلها ما يستدعي ذلك ، أعيد الضمير إلى النار مؤنثاً ، ليحصل في السورتين ورود الوجهين الجائزين كما تقدم مع التناسب ،والله أعلم.[66]

خلاصة الكلام :

يدل أثر السياق أن في آية سورة السجدة النار وقعت ظاهرة موضع المضمر لتقدم ذكره والمضمر لا يوصف فوصف ما أضيف إليه وهو والعذاب مذكر فالتذكير أولى به.وأما في سورة سبأ يخلو السياق عن دلالة تقديم ذكر النار والنار ظاهرة في مكانها فأضيف الوصف إلى النار والنار مؤنث فالتأنيث أولى به.

الموضع الخامس:

قوله تعالى في سورة النحل : ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾(67)

وقال الله تعالى في سورة المؤمنون :﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ (68)

للسائل أن يسأل أن في أحد الموضعين ذكر المذكر، وفي الآخر ذكر المؤنث، واللفظان سواء، فهل كان يجوز أن يكون حيث عاد المذكر مذكراً يكون مؤنثاً، وحيث عاد مؤنثاً يعود مذكراً ؟

أثر السياق في توجيه التذكير والتأنيث:

ذكر الإمام الإسكافي بيان أثر السياق حيث قال : أن "الأنعام" في سورة النحل وإن أطلق لفظ جمعها فإن المراد به بعضها ألا ترى أن الدَّر لا يكون لجميعها ، وأن اللبن لبعض إناثها، فكأنه قال :**وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ** ، ولهذا ذهب من ذهب إلى أنه رُدّ على النعم ، لأنه يؤدي ما يؤديه الأنعام من المعنى، والمراد – والله أعلم

وليس كذلك ذكرها في سورة المؤمنون ، لأنه قال : ﴿... **نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾فأخبر عن النِّعم التي في أصناف النعم إناثها وذكورها، فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في الأول ذلك.(69)

قد بين الإمام الرازي : وجها أخر في أثر السياق وقال : أما قوله : ﴿**مِمَّا فِي بُطُونِهِ** ﴾الضمير عائد إلى الأنعام فكان الواجب أن يقال مما في بطونها ، وذكر النحويون فيه وجوها :

الأول : أن لفظ الأنعام لفظ مفرد وضع لإفادة جمع ،كالرهط والقوم والبقر والنعم ، فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد، وهو التذكير، وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضميرالجمع، وهو التأنيث ، فلهذا السبب قال هاهنا ﴿**فِي بُطُونِهِ** ﴾(70)وقال في سورة المؤمنين : ﴿**فِيبُطُونِهَا**﴾.(71)

الثاني : قوله : ﴿**فِي بُطُونِهِ**﴾ أي في بطون ما ذكرنا ، وهذا جواب الكسائي(72)

هذا شائعفي القرآن. قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي**﴾(73)يعني هذا الشيء الطالع ربي. وقال : ﴿**كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ**﴾(74) أي ذكر هذا الشيء.واعلم أن هذا إنما يجوز فيما يكون تأنيثه غير حقيقي ،أما الذي يكون تأنيثه حقيقيا، فلا يجوز ، فإنه لا يجوز في مستقيم الكلام أن يقال جاريتك ذهب، ولا غلامك ذهب على تقدير أن نحمله على النسمة.

الثالث :أن فيه إضمارا ، والتقدير : نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس كلها ذات لبن.(75)

وقال الإمام برهان الدين الكرماني:قَوْله ﴿ **نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِه**﴾[76] وَفِي الْمُؤمنِينَ ﴿ **فِي بُطُونِهَا** ﴾[77]لأن الضمير في هذه السورة يعود إلى البعض وهو الإناث لأن اللبن لا يكون للكل فصار تقدير الآية وإن لكم في بعض الأنعام بخلاف ما في المؤمنين فإنه عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله ﴿**وَلكم فِيهَا مَنَافِع كَثِيرَة وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾[78]﴿**وَعَلَيْهَا**﴾[79]ثم يحتمل أن يكون المراد البعض فأنث حملا على الأنعام وما قيل من أن الأنعام ههنا بمعنى النعم لأن الألف واللام تلحق الآحاد بالجمع وفي إلحاق الجمع بالآحاد حسن لكن الكلام وقع في التخصيص والوجه ما ذكرت والله أعلم[80]

خلاصة الكلام :

1. قد ثبت من السياق أن في سورة النحل إشارة لبعض إناثها يعني يوجد اللبن في بعض بطون الأنعام فالتذكيرأولى به .وأما في سورة المؤمنين اخبار عن النِّعم فيها إناثها وذكورها، فلم يراد بها البعض فالتأنيث أولى به.
2. أن لفظ الأنعامبحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد ، وهو التذكير ، وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع ، وهو التأنيث.

الموضع السادس:

قال الله تعالى في سورة الأنعام :﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾[81]

وقوله تعالى في سورة التكوير:﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾[82]

للسائل أن يسأل عن وجه ورود الخبر بلفظ التأنيث في الأولى والتذكير في الثانية مع تذكير المبتدأ فيهما؟

أثر السياق في توجيه التذكير والتأنيث:

بين الإمام الغرناطي توجيهاً في السياق التذكير والتأنيث حيث قال : أن آية التكوير لما تقدمها القسم على القرآن بقوله تعالى:﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**﴾[83]إلى ما وقع القسم به ثم ورد ضمير المقسم عليه في قوله: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾[84]أي أن القرآن لقول رسول كريم، والمراد به جبريل عليه السلام ثم اتبع بوصفه إلى قوله ﴿**ثَمَّ أَمِينٍ**﴾[85]ثم قيل ﴿**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**﴾[86]والإشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فنزههتعالى عن قول أعدائه ونسبتهم إياه إلى الجنون ثم وصفه تعالى بأنه على الغيب الموحى به والمأمون على تبليغه غير متهم ولا بخيل على القراءتين فقال:﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[87] ([88]) .

ثم أعقب بقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ**﴾[89]أي وما القرآن ﴿**بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**﴾[90]فجرت هذه الضمائر على التذكير على ما يجب ثم اتبع بقطع تعلقهم فقيل: ﴿ **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴾[91]أي إن كل ما رمتم من رميه عليه

الصلاة والسلام به من السحر والجنون والتقول لا يقوم شيء من ذلك على ساق ولا يتوهم ذلك ذو عقل سليم ثم قال: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** ﴾[92]والضمير للقرآن ولا يمكن وروده خلاف هذا لمنافرة التناسب ومباعدة التلاؤم.

وأما آية الأنعام فتقدمها قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ** ﴾[93]فنوسب بين قوله: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾[94] وبين ما تقدم فكأن التقدير إن هو أي الأمر أو المراد المقصود أو ما ذكر من الكتاب والحكم والنبوة إلا ذكر فناسبه ذكرى هنا لما تقدم بيانه ولم يتقدم هنا ما يستدعى لفظ التذكير ويناسبه فجاء كل على ما يجب والله أعلم.[95]

خلاصة الكلام :

ظهرت من السياق أن سورة التكوير قد ذكرت الضمائر قبلها علي التذكير ولا يمكن وروده خلاف هذه الضمائر فالتذكير أولى به.وأما في سورة الأنعام قد يتقدم ما يستدعي لفظ التأنيث فالتأنيث أولى هنا.

الموضع السابع:

قال الله تعالى في سورة فاطر:﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾[96]

وقوله تعالى في مقام آخر في نفس السورة:﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[97]ورد في هاتين الآيتين المفعول المقام مقام الفاعل وهو رسل مكسر والاسم المجموع جمع تكسير يجوز فيه التذكير والتأنيثفورد في الآية الأولى ﴿**فَقَدْ كَذَّبَ** ﴾ على رعى التذكير ولم يقرأ بغيره وفى الآية الثانية ﴿ **فَقَدْ كُذِّبَتْ** ﴾ على معنى التأنيث لزوما أيضا مع وحدة اللفظ في المرفوع المفعول وما يجوز فيه من التذكير والتأنيث فيسأل عن ذلك.

أثر السياق في توجيه التذكير والتأنيث:

قد ذكر الإمام الغرناطي توجيهاً في أثر السياق وقال : أن كلا الآيتين مراعى فيه ما يلى تابعا للمرفوع من الوصففي الأولى وما عطف في الثانية.

أما الأولى فقال تعالى ﴿**جاؤوا بالبينات**﴾[98]ولا يمكن هنا إلا هذا فجرى على ما هو الأصل في جمع المذكر المكسر من التذكير فلم تلحق الفعل علامة التأنيث، وأما آية الملائكة فلحقت التاء الفعل رعيا لما عطف على الآية من قوله تعالى: ﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[99]فليس في هذا إلا التأنيث سواء بنى الفعل للفاعل أو للمفعول فنوسب بين الآيتين فقيل "كذبت " على الجائز الفصيح في تأنيث المجموع المكسر ليحصل التناسب ولا يمكن عكس الوارد في الآيتين والله أعلم.[100]

خلاصة الكلام:

يدل السياق أن آية الأولى تابعا للمرفوع من الوصف وهو جمع المذكر المكسر من التذكير فالتذكير أولى هنا وأما الآية الثانية فهي عوطف علي الفعل التأنيث فالتأنيث أولى هنا.

نتائج البحث والتوصيات:

في ختام البحث سأوضع أمام القارئ النتائج التي وصل لها البحث:

1- أن السياق هو الأصل الثالث من أصول التفسير بعد تطلبه من القرآن نفسه ثم من السنة النبويه.

2- دلالة السياق معتبرة في شريعة الإسلامية، فهي ليست وليدة هذه الأزمنة المتأخرة، وإنما هي مرتبطة باللغة العربية إرتباطا وثيقا منذ القدم. وأيضا لا يفهم الكلام عند العرب إلا ضمن سياقه .

3- المذكر في اللغة حسب علمائنا العرب هو ما إستغنى فيه الإسم المذكر عن علامة تدل على التذكير وأما التأنيث فهو ما إفتقر إلى علامة تدل عليه وهي التأء أو الألف المقصورة أو الألف الممدودة .

4- إهتمام علماء العربية ببيان الفرق بين المذكر والمؤنث وذكرت بعضا من كتب التراث ، والرسائل العلمية التي عنيت بدراسة التذكير والتانيث .

التوصيات:

1_ ذكرت في هذه الرسالة دلالة السياق القرآني وينبغي للباحثين أن يستنبطوا منها أقوال العلماء في تحديد مفهوم السياق ويمكن الخروج بنتيجة واضحة .

2 _ وأيضا أن التذكير والتأنيث، التعريف والتنكير، الإفراد والجمع قضية جدلية منذ القدم، فلا بد للباحث أن يعلم أصولها وضوابطها بطريقة عميقة لكي يتجنب من الأخطاء اللفظية والمعنوية .

3_ ذكرت في هذه الرسالة الآيات المتشابه ينبغي للباحث أن يدفع هذه الصعوبة التي وردت في حل هذه الآيات باالتدبر والتفكر في القرآن الكريم .

المصادر والمراجع

[1]) **لسان العرب،** محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء : 15 لإبن منظور : 4 / 308

[2]) سورة آل عمران، رقم الآية/ 36.

[3]) سورة الحجرات، رقم الآية / 13 .

[4]) **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، ت، مجموعة من المحققين ،ن، دار الهداية ،11/ 382.

[5]) **تاج العروس** : 384/11

[6]) سورة الغاشية، رقم الآية / 21.

[7]) سورة النساء، رقم الآية / 117

[8]) **لسان العرب**، لإبن منظور : 2/ 112

[9]) هو **عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الأنباريّ أبو البركات الملقب بالكمال النحوي**كان فاضلا عالما زاهدا. ، وتفقه على مذهب الشافعيّ، ولدفى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وتوفى فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة، انظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة : لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 64هـ) ، ت ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ن ، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، ط ، الأولى، (1406 هـ - 198م.) ، 2 / 169 .

[10]) **البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث** لأبي البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ) ،ت، دكتور رمضان عبد التواب ،ن، مكتبة الخانجي - القاهرة – مصر، ط، الثانية، (1417 هـ _ 1996 م) ، ص، 65).

[11]) هو **أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن يونس الدوني** ثم المصري الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب، الملقب جمال الدين ،وبرع في علومه وأتقنها غاية الإتقان وكان الأغلب عليه علم العربية، وصنف في أصول الفقه، ولد في آخر سنة سبعين وخمسمائة، وتوفي في سنة ست وأربعين وستمائة، انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 3 / 248 .

[12]) شرح الرضي : 3/ 321

[13]) **محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان القرشي المخزومي الاسكندري بدر الدين الدماميني،** الإمام العلّامة الأديب المشهور ،، اديب، ناثر، ناظم، نحوي، ولد بالديار الاسكندرية سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وتوفي في شعبان سنة سبع وقيل ثمان وعشرين وثمانمائة ، انظر : الأعلاملخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، ن ، دار العلم للملايين ، ط ، الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ، 6 / 57 / انظر : معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ، ن ، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط ، بدون ، 9 / 115.

[14]) الدماميني : المنهل الصافي في شرح الوافي ، ص ، 491

[15]) **النحو الوافي** : 4/ 587 . وكذلك أنظر : **الفوائد الضيائية شرح كافية** ابن الحاجب لنور الدين عبد الرحمن الجامي (؟-898 هـ) ، ت ، الدكتور أسامة طه الرفاعي ، 1/ 353 . وانظر : ضياء السالك إلى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار ، ن ، مؤسسة الرسالة ، ط ، الأولى ، (1422هـ - 2001م) ، 4 / 147 ./ الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب لنور الدين عبد الرحمن الجامي (؟-898 هـ) ، ت ، الدكتور أسامة طه الرفاعي ، 1/ 353 . / ضياء السالك إلى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار ، ن ، مؤسسة الرسالة ، ط ، الأولى ، (1422هـ - 2001م) ، 4 / 147 .

[16]) **النحو الوافي** : 4/ 587 . وكذلك أنظر : الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب لنور الدين عبد الرحمن الجامي (؟-

898 هـ) ، ت ، الدكتور أسامة طه الرفاعي ، 1/ 353 . وانظر : **ضياء السالك إلى أوضح المسالك** لمحمد عبد العزيز النجار، ن ، مؤسسة الرسالة ، ط ، الأولى ، (1422هـ – 2001م) ، 4 / 147 ./ **الفوائد الضيائية شرح كافية** ابن الحاجب لنور الدين عبد الرحمن الجامي (؟–898 هـ) ، ت ، الدكتور أسامة طه الرفاعي ، 1/ 353 . / ضياء السالك إلى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار ، ن ، مؤسسة الرسالة ، ط ، الأولى ، (1422هـ – 2001م) ، 4 / 147 .

[17]) سورة ق،رقم الآية /21

[18]) **النحو الوافي** :4/ 587 . وكذلك أنظر : الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب لنور الدين عبد الرحمن الجامي (؟–898 هـ) ، ت ، الدكتور أسامة طه الرفاعي ، 1/ 353 . وانظر : ضياء السالك إلى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار ، ن ، مؤسسة الرسالة ، ط ، الأولى ، (1422هـ – 2001م) ، 4 / 147 ./ **الفوائد الضيائية شرح كافية** ابن الحاجب لنور الدين عبد الرحمن الجامي (؟–898 هـ) ، ت ، الدكتور أسامة طه الرفاعي ، 1/ 353 . / **ضياء السالك إلى أوضح المسالك** لمحمد عبد العزيز النجار ، ن ، مؤسسة الرسالة ، ط ، الأولى ، (1422هـ – 2001م) ، 4 / 147 .

[19]) **شرح المفصل** للزمخشري ليعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ) ، ن ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط ، الأولى، (1422 هـ – 2001 م) . 3 / 352

[20]) **المذكر والمؤنث** لأبي بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: 328 هـ) ، ت ، محمد عبد الخالق عظيمة ، مراجعة: د. رمضان عبد التواب ، ن ، جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث ، سنة النشر: (1401 هـ – 1981م)، 1/ 176 .

[21]) **المذكر والمؤنث** لأبي بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: 328 هـ) ، ت ، محمد عبد الخالق عظيمة ، مراجعة: د. رمضان عبد التواب ، ن ، جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث ، سنة النشر: (1401 هـ – 1981م)، 1/ 176 .

[22]) **المذكر والمؤنث** لأبي بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: 328 هـ) ، ت ، محمد عبد الخالق عظيمة ، مراجعة: د. رمضان عبد التواب ، ن ، جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث ، سنة النشر: (1401 هـ – 1981م)، 1/ 176 .

[23]) سورة آل عمران، رقم الآية /49

[24]) سورة المائدة، رقم الآية / 110

[25]) سورة آل عمران، رقم الآية / 49 رقم الآية / 110

[25]) سورة آل عمران، رقم الآية / 49

[26]) **درة التنزيل وغرة التأويل** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: 420هـ)ت، د/ محمد مصطفى آيدين ، ن، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل ، 372/1 .

[27]) سورة المائدة، رقم الآية / 110

[28]) **درة التنزيل وغرة التأويل** (372/1).

[29]) **محمود بن حمزة بن نصر الكرماني**، برهان الدين، أبو القاسم، ويعرف بتاج القراء:عالم بالقراءات، نحوي، مفسر، من أهل كرمان. أحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضله، من كتبه "**البرهان في متشابه القرآن**". و "لباب التأويل"، . المتوفي (**505 هـ**)، انظر : **معجم المفسرين** : لعادل نويهض ، ن ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ، ط ، الثالثة، (1409 هـ - 1988 م) ، 2 / 662 . وكذلك انظر : **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، ت ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ن، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا ، 2 / 277 .

[30]) **أسرار التكرار في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، لبرهان الدين الكرماني، (المتوفى: نحو 505هـ) ، ت، عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق، أحمد عبد التواب عوض، ن، دار الفضيلة، 90/1.

[31]) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، وله التصانيف منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، وشرح أسماء الله الحسنى ، ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة، ، وتوفي يوم الاثنين، سنة ست وستمائة ، انظر : **وفيات الأعيان** ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) ، ت ، إحسان عباس ، ن ، دار صادر – بيروت ، ط ، 1، 1971 ، 4 / 248 . .

[32]) **مفاتيح الغيب**، التفسير الكبير لفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، ن، دار إحياء التراث العربي – بيروتط، الثالثة - 1420 هـ، (460/12).

[33]) سورة هود، رقم الآية /67

[34]) سورة هود، رقم الآية /94

[35]) **درة التنزيل وغرة التأويل** للإسكافي المتوفى سنة 420 هـ ، 2 / 764

[36]) سورة الأعراف، رقم الآية / 90-92

[37]) سورة هود، رقم الآية / 94.

[38]) سورة الشعراء، رقم الآية /189

[39]) سورة هود، رقم الآية /94

[40]) **درة التنزيل وغرة التأويل** للإسكافي المتوفى سنة 420 هـ ، 2 / 764 .

[41]) **أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن زبير بنعاصم الثقفي العاصمي الغرناطي النحوي ،** مفسر ،محدث ، نحوي ، لغوي ، ولد سنة سبع وعشرين وستمائة توفي سنة ثمان وسبعمائة بغرناطة . انظر : **تذكرة الحفاظ** لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت ، زكريا عميرات ، ن ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، ط ، الأولى (1419هـ- 1998م) 4 / 183 .

[42]) سورة البقرة، رقم الآية / 275

[43]) سورة هود، رقم الآية /67.

[44]) **ملاك التأويل** للغرناطي، (المتوفى: 708هـ)وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، ن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 259/2

[45]) سورة الأنبياء، رقم الآية /91

[46]) سورة التحريم، رقم الآية /12

[47]) سورة الأنبيآء، رقم الآية /91.

[48]) سورة الأنبيآء، رقم الآية /91.

[49]) سورة الأنبيآء، رقم الآية / 91ا.

[50]) **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل** لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ، ن، دار الكتب العلمية. بيروت ، 351/2 .

[51]) ملاك التأويل : 351/2 .

[52]) (000 – 420 هـ = 000 – 1029 م) هو **محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي**، أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافا، ثم خطيبا بالريّ. من كتبه (مبادئ اللغة – ط) و (درة التنزيل وغرة التأويل – ط) في الآيات المتشابهة،انظر : **الأعلام** لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، ن ، دار العلم للملايين ، ط ، الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م ، 6 / 227 .

[53]) سورة الآنبياء، رقم الآية /91

[54]) سورة الآنبياء، رقم الآية /91

[55]) سورة التحريم، رقم الآية /12

[56]) **درة التنزيل وغرة التأويل** للإسكافي (المتوفى: 420هـ) ، 912/1 ز

[57]) سورة التحريم، رقم الآية /12

[58]) **درة التنزيل وغرة التأويل** للإسكافي (المتوفى: 420هـ) ، 912/1 .

[59]) سورة السجدة، رقم الآية /20

[60]) سورة سباء، رقم الآية /42

[61]) **درة التنزيل وغرة التأويل** للإسكافي، 1/ 1066

[62]) سورة سباء، رقم الآية /42

[63]) سورة سباء، رقم الآية /42

[64]) **درة التنزيل وغرة التأويل** للإسكافي، 1/ 1066

[65]) سورة السجدة، رقم الآية / 21

[66]) **ملاك التأويل** للغرناطي، ن،: دار الكتب العلمية. بيروت، 2/ 404

[67]) سورة النحل، رقم الآية / 66 .

[68]) سورة المؤمنون، رقم الآية /21

[69]) **درة التنزيل وغرة التأويل** :1/ 852

[70]) سورة النحل، رقم الآية /66

[71]) سورة المؤمنين، رقم الآية /21

[72]) هو **أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي**، مَوْلَى بني أسد، من أهل باحَمْشا. أخذ عن الرُّؤَاسيّ، ودخل الكوفةَ وهو غلام، وأدَّب ولدَ الرشيد. وتوفي الكسائي سنة ثلاث وتسعين ومئة ، انظر : **طبقات النحويين واللغويين** : لمحمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: 379هـ) ، ت ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعارف ، ط ، الثانية ، 1 / 127 .

[73]) سورة الأنعام، رقم الآية / 78

[74]) سورة المدثر، رقم الآية / 54 ، 55

[75]) **مفاتيح الغيب** = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)

ن ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ، الثالثة – 1420 هـ ، 232/20.

[76]) سورة النحل، رقم الآية /66

[77]) سورة المؤمنين، رقم الآية /21

[78]) سورة المؤمنين، رقم الآية /21

[79]) سورة المؤمنين، رقم الآية /21

[80]) **أسرار التكرار في القرآن** المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لبرهان الدين الكرماني، (المتوفى: نحو 505هـ)، ت، عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، ن، دار الفضيلة، ص ، 162 .

[81]) سورة الأنعام، رقم الآية /90

[82]) سورة التكوير، رقم الآية /27

[83]) سورة التكوير، رقم الآية /15

[84]) سورة التكوير، رقم الآية /19

[85]) سورة التكوير، رقم الآية /21

[86]) سورة التكوير، رقم الآية /22

[87]) سورة التكوير، رقم الآية /24

[88]) **ملاك التأويل** للغرناطي،1/ 228

[89]) سورة التكوير، رقم الآية /25

[90]) سورة التكوير، رقم الآية /25

[91]) سورة التكوير، رقم الآية /26

[92]) سورة التكوير، رقم الآية /27

[93]) سورة الأنعام، رقم الآية /89

[94]) سورة الأنعام، رقم الآية /90

[95]) **ملاك التأويل** للغرناطي،1/ 228 .

[96]) سورة فاطر، رقم الآية/ 25

[97]) سورة فاطر، رقم الآية /4

[98]) سورة فاطر، رقم الآية /25

[99]) سورة فاطر، رقم الآية /4

[100]) **ملاك التأويل** للغرناطي، 95/1 .